وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ

حبيباتي كم تسربت للنفوس جرعات من اليأس والتشاؤم، وهي ترى ضعف المسلمين واستطالة الكافرين، وكم تحطم قلب وجزعت نفس وهي ترى أعداء الإسلام يتطاولون على ثوابت الإسلام ومقدساته، ويستبيحون بلاد المسلمين، فالكرامة مسلوبة، والحقوق منهوبة، ضعف الإيمان في القلوب، وقل التقوى وتفرّقت كلمتهم، وتنازعوا أمرهم بينهم، فنزع الله مهابتهم من صدور أعدائهم وذهبت ريحهم.

✉فتكالب الأعداء عليهم من كل ناحية، واجتمعوا لحربهم من كل صوب، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأَكَلة على قَصْعَتها وهذا الاستضعاف الذي عليه الأمة جعل الهزيمة النفسية تضرب قلوب كثير من المسلمين، وهم يرون أعداء الأمة ظاهرين قاهرين متجبرين على المسلمين، وجعلهم يظنون أن أعداء الأمة قوة باطشة لا تقهر، وأن قوتهم أكبر من السقوط والانهزام قال الله تعالى : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ)[المائدة:52].

✉أما عباد الله المؤمنون، فهم على ربهم متوكّلون، قلوبهم به متعلّقة، ونفوسهم بفضله مطمئنة، قد علموا أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ، وأنه هو الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ، وأنه يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، وأنه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ، لا يخيفهم مكر ماكر أو تهديد كافر، قال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[النور:55]، لقد بعث الله محمداً ρ بالهدى ودين الحق، إلى أهل الأرض ، إنسهم وجنهم، فما كان منهم إلا أن أنكروا دعوته، وكذّبوه وناصبوه العداوة، فكان الإسلام إذ ذاك غريباً، فالأعداء كثيرون، والمستجيبون قليل، حاول الكفار في عصره أن يمكروا به، وبذلوا لذلك ما في وسعهم من الوسائل، فخابوا بحمد الله وخسروا، قال الله تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[الأنفال:30]، فأذن الله له بالهجرة فهاجر إلى المدينة وفي المدينة فرضت الفرائض، وشرعت الأحكام والحدود، قال الله تعالى : (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[الأنفال:26]، وما توفي رسول الله ρ إلا وجزيرة العرب قد انقادت له بأسرها، وعمّها الإسلام، واختفى الشرك والضلال، وأصبح الإسلام قوياً عزيزاً، ثم حمله أصحابه بعده إلى أرجاء المعمورة، فنصر الله دينه، وأعلى كلمته، وتحقق قول الله تعالى : (لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ)[الصف:9].

✉لا شك أن الأمة تجني ثماراً نكدة تحصدها اليوم، يوم أن قصرت في طاعة ربها قال الله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[النحل:112]، وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[النحل:112]، إن المؤمنين ما لم يجاهدوا أنفسهم على تحقيق الإيمان و الإتيان بمقومات النصر على الأعداء، لن يتحقق لهم النصر؛ بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم وتقصيرهم، وقال تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[آل عمران:165]، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله كما قال تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[الروم:47]، فيحتاج العباد للانتصار على العدو الظاهر أن يجاهدوا العدو الباطن من النفس الأمارة بالسوء و الشيطان فما لم ينتصروا على هذا العدو فلا نصر لهم قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[محمد:7]. وقال تعالى : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)[الحج:40]، فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم و أعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها) أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)[آل عمران:139-141].

📋قال السعدي: يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: { وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا } أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال [تعالى]: { وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ثم سلَّاهم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ

قَرْحٌ مِثْلُهُ} فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: { إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. { وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ } وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله. { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ }.

✉اعلموا أن قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزها في إسلامها، والتمكين لها في صدق عبادتها، وإن من سنن الله أن العاقبة للمتقين، وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)[الأنبياء:105-106]، فما أحوج المسلمين في زمن الحوادث والكوارث إلى أن يراجعوا دينهم، وينظروا في مواقع الخلل، ومواطن الزلل، ويصلحوا ما فسد، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[الروم:41]، فليس للمسلمين عز ولا شرف، ولا حق ولا كرامة إلا بالإسلام.

✉إن تغير أحوال المسلمين مرهون بتغيير أنفسهم إلى ما يرضي الله تعالى فمتى غير المسلمون أحوالهم وأصلحوا شؤونهم بدّل الله حالهم إلى أحسن حال، ورفع شأنهم وأعلى مكانتهم.

كما قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)[الرعد:11]، فالعودة إلى الله سببٌ في الفلاح، وسر في النجاح ،يجب أن نتق الله، ونتمسك بدين الله، ونحسن الظن بالله، (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

☜بشرنا الله وبشر نبيه ﷺ في كلِّ معركة بما يُسلي قلوب المؤمنين (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ -وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ-: "أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعبد بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا". فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِيَدِهِ وَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ. فَخَرَجَ وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) .

مُنذُ أَن ظَهَرَ كُلُّ مِنَّا عَلَى هَذِهِ الحَيَاةِ وَهُوَ يَرَى الخَبِيثَ فِيهَا وَالطَّيِّبَ يَعتَلِجَانِ، وَيَلمَسُ الخَيرَ وَالشَّرَّ يَتَعَاوَرَانِ، وَيُعَايِشُ الصِرَاعَ بَينَ جُندِ الرَّحمَنِ وَجُندِ الشَّيطَانِ، وَيَتَّضِحُ لَهُ أَنَّهُ فِي الوَقتِ الَّذِي يَهتِفُ أَنصَارُ اللهِ بِالحَقِّ وَيَدعُونَ إِلَيهِ وَيَبذُلُونَ النَّفسَ وَالنَّفِيسَ فِي إِعلائِهِ وَإِظهَارِهِ، فَإِنَّ أَهلَ البَاطِلِ لا يَألُونَ جُهدًا فِي التَّلبِيسِ عَلَى الحَقِّ بِبَاطِلِهِم، وَلا يَتَوَانَونَ فِي نَفخِ ذَلِكَ البَاطِلِ وَتَزوِيقِهِ وَنَشرِهِ.

وَيَرجِعُ اللَّبِيبُ البَصَرَ كَرَّتَينِ وَيُقَلِّبُ الفِكرَ مِرَارًا؛ لِيَرَى أَنَّ هَذَا الصِّرَاعَ لم يَكُنْ وَلِيدَ عَصرِنَا أَو حَلِيفَ زَمَانِنَا هَذَا فَحَسبُ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مَوجُودٌ وَظَاهِرٌ مُنذُ القِدَمِ، مُنذُ أَن قَتَلَ الظَّالِمُ مِن ابنَي آدَمَ أَخَاهُ، وَمَا زَالَ قَائِمًا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ وَتُعَاقُبِ الأُمَمِ، يَشهَدُهُ التَّارِيخُ عَلَى جَمِيعِ المَيَادِينِ وَالأَصعِدَةِ، سَوَاءٌ العَسكَرِيَّةُ مِنهَا أَوِ الفِكرِيَّةُ، أَو حَتَّى الاجتِمَاعِيَّةُ أَوِ الاقتِصَادِيَّةُ، يَظهَرُ الحَقُّ كَثِيرًا وَتَكُونُ لَهُ الدَّولَةُ وَالغَلَبَةُ، ثُمَّ لا يَلبَثُ أَن يَضعُفَ قَلِيلاً وَيَتَوَارَى؛ لِيَطفُوَ زَبَدُ البَاطِلِ مُدَّةً وَيَعلُوَ حِينًا، كُلُّ ذَلِكَ (لِيَقضِيَ اللهُ أَمرًا كَانَ مَفعُولاً لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) [الأنفال: 42].

وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ المؤمِنَ لا يَزدَادُ بما مَعَهُ مِنَ الحَقِّ إِلاَّ تَمَسُّكًا وَعَضًّا عَلَيهِ بِالنَّوَاجِذِ، إِذْ يَتَذَكَّرُ دَومًا أَنَّهُ -وَإِنْ عَلا البَاطِلُ فِي بَعضِ الأَحيَانِ- إِلاَّ أَنَّهُ لا يَتَّحِدُ الطَّرِيقَانِ وَلا تَتَّفِقُ النِّهَايَتَانِ: (لا يَستَوِي أَصحَابُ النَّارِ وَأَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ) [الحشر: 20]، (أَمْ نَجعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمفسِدِينَ فِي الأَرضِ أَمْ نَجعَلُ المتَّقِينَ كَالفُجَّارِ) [ص: 28].

نَعَم؛ إِنَّهُ لا يَتَّحِدُ طَرِيقٌ وَلِيُّ أَهلِهِ وَنَاصِرُهُمُ الرَّحمَنُ، بِمَخذُولِينَ وَلِيُّهُم وَقَائِدُهُمُ الشَّيطَانُ، لا تَستَوِي نِهَايَةُ مَن جَزَاؤُهُ الجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ المقِيمُ، بِمَن عَاقِبَتُهُ النَّارُ الموقَدَةُ وَالجَحِيمُ، قَالَ سُبحَانَهُ: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَولى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَولى لَهُم) [محمد: 11]. وقال تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)[آل عمران:12]،

وَفِي حَدِيثِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ- لَمَّا أُصِيبَ المسلِمُونَ فِي يَومِ أُحُدٍ، فَأَخَذَ أَبُو سُفيَانَ يَرتَجِزُ: أُعلُ هُبَلُ، أُعلُ هُبَلُ. قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "أَلا تُجِيبُوا لَهُ؟!"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: مَا نَقُولُ؟! قَالَ: "قُولُوا: اللهُ أَعلَى وَأَجَلُّ"، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلا عُزَّى لَكُم. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "أَلا تُجِيبُوا لَهُ؟!"، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: مَا نَقُولُ؟! قَالَ: "قُولُوا: اللهُ مَولانَا وَلا مَولى لَكُم".

نَعَم إِنَّهُ وَإِنْ عَلا زَبَدُ البَاطِلِ، وَارتَفَعَ لَهُ فِي السَّمَاءِ دُخَانٌ، أَو ثَارَ لَهُ غُبَارٌ يُؤذِي المؤمِنِينَ وَيُكَدِّرُ صَفوَهُم، وَقَد يَخنِقُ بَعضَهُم وَيَقبِضُ أَنفَاسَهُم، فَإِنَّنَا نَقُولُ: حَسبُنَا إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ أَنَّ اللهَ مَولانَا وَنَاصِرُنَا، وَيَكفِينَا أَنَّ سَيرَنَا عَلَى طَرِيقِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، يَكفِينَا أَنَّنَا مُتَعَبَّدُونَ لِرَبِّنَا مُتَّبِعُونَ لِنَبِيِّنَا، نَرجُو أَن يُعلِيَ اللهُ بِنَا الحَقَّ وَأَن نَنشُرَ نُورَهُ عَلَى الخَلقِ، وَأَمَّا هَؤُلاءِ المحَارِبُونَ لِلحَقِّ المستَغِلُّونَ لِمَنَابِرِ الصَّحَافَةِ وَالإِعلامِ، المستَقوُونَ بِبَعضِ مَن أَزَاغَ اللهُ قَلبَهُ مِن عِلِيَةِ القَومِ أَو أَشيَاخِ المؤَسَّسَاتِ أَو أَصحَابِ رُؤُوسِ الأَموَالِ المحَارِبِينَ لِلدِّينِ وَالقِيَمِ بِمَنَاصِبِهِم وَأَموَالِهِم، فَمَولاهُمُ الشَّيطَانُ الَّذِي يُزَيِّنُ لهم المعَاصِيَ وَيَؤُزُّهُم عَلَى الشَّرِّ أَزًّا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ وَاتَّضَحَتِ الأُمُورُ وَانجَلَى العَمَى، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ استَكبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُم تَبَعًا فَهَل أَنتُم مُغنُونَ عَنَّا مِن عَذَابِ اللهِ مِن شَيءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللهُ لَهَدَينَاكُم سَوَاءٌ عَلَينَا أَجَزِعنَا أَم صَبَرنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُم فَأَخلَفتُكُم وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوتُكُم فَاستَجَبتُم لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَا أَنَا بِمُصرِخِكُم وَمَا أَنتُم بِمُصرِخِيَّ إِنِّي كَفَرتُ بِما أَشرَكتُمُونِ مِن قَبلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذنِ رَبِّهِم تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلامٌ) [إبراهيم: 21-23].

إِنَّنَا فِي زَمَانٍ ظَهَرَ فِيهِ البَاطِلُ بَعضَ الظُّهُورِ، وَصَارَت لِلشَّرِّ دَولَةٌ وَصَولَةٌ وَجَولَةٌ، وَاستَولى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ أَقوَامٌ لا يُرِيدُونَ لِهَذِهِ المجتَمَعَاتِ المحَافَظَةَ إِلاَّ أَن تَخلَعَ أَثوَابَ التَّدَيُّنِ وَتَتَخَلَّى عَنِ الثَوَابِتِ وَتَزهَدَ فِي القِيَمِ، وَتَنبُذَ الأَخلاقَ وَالآدَابَ، وَتَفتَحَ البَابَ عَلَى مِصرَاعَيهِ لِتَقلِيدِ كُلِّ مَن هَبَّ وَدَبَّ، فَتَتَّبِعَ نَصرَانِيًّا ضَالاًّ أَو يَهُودِيًّا مَغضُوبًا عَلَيهِ، أَو تُشَابِهَ شُيُوعِيًّا مُلحِدًا أَو مَجُوسِيًّا مُخَلِّطًا، أَفَتَعجزُ هَذِهِ المجتَمَعَاتُ أَن تَقِفَ فِي وَجهِ هَؤُلاءِ المفتَرِينَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَجعَلَ بَينَهَا وَبَينَهُم حَاجِزًا بِإِجَابَةٍ قَاطِعَةً؟! إِنَّهَا -وَاللهِ- لا تَعجِزُ أَن تَقُولَ بِمِلءِ أَفوَاهِهَا: لا وَأَلفَ لا لِكُلِّ مُغَيِّرٍ لِلشَّرعِ وَمُبَدِّلٍ لِلدِّينِ، فَتَبقَى عَلَى مَا هِيَ عَلَيهِ مِنَ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ، حَتَّى تَلقَى رَبَّهَا غَيرَ مُغَيِّرَةٍ وَلا مُبَدِّلَةٍ، وَتَرِدَ عَلَى نَبِيِّهَا الحَوضَ وَهِيَ مَا زَالَت عَلَى مَا تَرَكَهَا عَلَيهِ، فَتَشرَبَ مِن حَوضِهِ وَتَدخُلَ مَعَهُ الجَنَّةَ بِرَحمَةِ رَبِّهَا، فِي الصَّحِيحَينِ وَغَيرِهِمَا أَنَّهُ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- قَالَ: "إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الحَوضِ، مَن مَرَّ بِي شَرِبَ، وَمَن شَرِبَ لم يَظمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقوَامٌ أَعرِفُهُم وَيَعرِفُونِي، ثُمَّ

يُحَالُ بَيني وَبَينَهُم فَأَقُولُ: إِنَّهُم مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ. فَأَقُولُ: سُحقًا سُحقًا لِمَن بَدَّلَ بَعدِي".

وَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ-: "يُعجِبُنِي الرَّجُلُ إِذَا سِيمَ خُطَّةَ ضَيمٍ أَن يَقُولَ: لا، بِمِلءِ فِيهِ".

نَعَم إِنَّ رَفضَ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الدِّينَ وَيُضَادُّ الحَقَّ وَيُغَايِرُ السُّنَّةَ، وَالثَّبَاتَ عَلَى الحَقِّ وَالتَّمَسُّكَ بِهِ، إِنَّهُ الخِيَارُ الَّذِي لا بُدَّ لَنَا مِنهُ إِذَا أَرَدنَا النَّجَاةَ، بَل إِنَّهُ لا بُدَّ أَن يَكُونَ سِلاحَنَا الأَقوَى الَّذِي نُشهِرُهُ فِي وَجهِ كُلِّ مَن يُرِيدُ لَنَا الشَّرَّ كَائِنًا مَن كَانَ، فَحِينَ يُرَادُ لَنَا أَن نَتَخَلَّى عَنِ الدِّينِ وَنَرضَى بِالدُّنيَا وَنَقنَعَ بِالدُّونِ، أَو أَن نُغرِقَ فِي لَذَّاتِ النُّفُوسِ وَنَتَخَبَّطَ فِي الشَّهَوَاتِ فَ(لا) وَأَلفُ (لا)، وَحِينَ يُرَادُ تَغيِيرُ مُسَلَّمَاتِنَا وَانتِزَاعُ ثَوَابِتِنَا، أَو نَقضُ مَبَادِئِنَا وَتَحوِيرُ مُصطَلَحَاتِنَا فَ(لا) وَأَلفُ (لا)، وَحِينَ يُرَادُ بِنِسَائِنَا التَّخرِيبُ بِاسمِ التَّحرِيرِ، أَو يُدفَعنَ لِلاختِلاطِ وَالعَمَلِ مَعَ الرِّجَالِ فَ(لا) وَأَلفُ (لا)، وَحِينَ يُرَادُ لِمَنَابِعِ الخَيرِ أَن تُجَفَّفَ أَو يُضَيَّقَ الخِنَاقُ عَلَى الخَيرِ وَأَهلِهِ فَ(لا) وَأَلفُ (لا)، لا لِكُلِّ مَن يُرِيدُ إِطفَاءَ نُورِ اللهِ ثُمَّ لا، لا؛ لأَنَّ نُورَ اللهِ لا بُدَّ أَن يَتِمَّ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ، إِنَّهُ لا يَجُوزُ لِلمُؤمِنِ أَن يَرضَى بِالذُّلِّ أَو يَهُونَ (وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ) [المنافقون: 8].

وَكَيفَ يَستَسلِمُ مُسلِمٌ وَتَمتَلِئُ نَفسُهُ خَوَرًا وَهَزِيمَةً وَقَد قَالَ تَعَالَى فِي كَيدِ الكَافِرِينَ: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المشرِكُونَ) [الصف: 8، 9]؟!

لَقَد أَرَادَ اللهُ لِلمُؤمِنِينَ العُلُوَّ وَالرِّفعَةَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَلِمَ السُّقُوطُ وَالضَّعَةُ، لِمَ الهَوَانُ وَقَد قَالَ الحَقُّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ)؟!

لَقَدِ اختَارَ اللهُ لِلمُؤمِنِينَ العُلُوَّ؛ لأَنَّهُ لا يَستَحِقُّهُ سِوَاهُم، اختَارَهُ لَهُم؛ لأَنَّهُ لا يَصمُدُ عَلَيهِ غَيرُهُم، اختَارَهُ لَهُم؛ لأَنَّهُ لَن يَتَمَكَّنَ مِنَ الدِّفَاعِ عَنهُ إِلاَّ هُم، فَهُم الأَوصِيَاءُ عَلَى هَذِهِ البَشَرِيَّةِ لإِنقَاذِهَا، وَهُمُ الهُدَاةُ لَهَا كُلِّهَا، وَهُمُ المخرِجُونَ لَهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذنِ اللهِ: (كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذنِ رَبِّهِم إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ * اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ وَوَيلٌ لِلكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَستَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ) [إبراهيم: 1-3].

إِنَّ مَكَانَ عِبَادِ اللهِ فِي الأَرضِ أَعلَى، وَإِنَّ قَدرَهُم فِي النُّفُوسِ لأَسمَى، وَعِندَمَا يُصَابُونَ مِن أَعدَائِهِم أَو يُهزَمُونَ حِينًا، أَو يَحدُثُ لِلحَقِّ الَّذِي مَعَهُم شَيءٌ مِنَ الخَفَاءِ، فَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ التَّدَافُعِ الَّتِي سَنَّهَا اللهُ فِي

الأَرضِ، قَالَ تَعَالى: (وَلَولا دَفعُ اللهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَهُدِّمَت صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: 40].

قال السعدي: فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخربوا معابدهم، وفتنوهم عن دينهم، فدل هذا، أن الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وببركتهم، دفع الله عنها الكافرين.

نَعَم، هِيَ سُنَّةُ المدَافَعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي خَلقِهِ؛ لِتَستَمِرَّ الحَيَاةُ، عَلَى أَن تَكُونَ العُقبى لِلمُؤمِنِينَ، وَالنَّصرُ لِعِبَادِ اللهِ وَلَو بَعدَ حِينٍ: (وَلَقَد سَبَقَت كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسَلِينَ * إِنَّهُم لَهُمُ المنصُورُونَ * وَإِن جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ) [الصافات: 171-173]، (وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصرُ المؤمِنِينَ) [الروم: 47].

وَفِي المتَّفَقِ عَلَيهِ، يَقُولُ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلا مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ وَهُم ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ".

اتَّقُوا اللهَ وَلا تَيأَسُوا، وَاثبُتُوا عَلَى الحَقِّ وَلا تَلتَفِتُوا، فَإِنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ وَاقِعٌ وَلا رَيبَ، وَكَلِمَةَ اللهِ بَاقِيَةٌ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ وَلا شَكَّ، وَالنَّصرَ لِلمُؤمِنِينَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ قَالَ سُبحَانَهُ: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ يَقُومُ الأَشهَادُ) [غافر: 51]، وَقَالَ -جَلَّ وَعَلا-: (وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُم فِي الأَرضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) [الحج: 40، 41].

الثَّبَاتَ الثَّبَاتَ ؛ فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُم -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- عِندَمَا ذَكَرَ أَكبَرَ الفِتَنِ وَهِيَ فِتنَةُ الدَّجَّالِ، فَعَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمعَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخلِ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَفِيهِ قَالَ -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: "إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَينَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ: فَاثبُتُوا". الحَدِيثَ رَوَاهُ مُسلِمٌ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثبُتُوا وَاذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم وَاصبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 45، 46].

✉فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالى وَأَطِيعُوهُ وَلا تَعصُوهُ: (وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا) [الطلاق: 2]، ثُمَّ اعلَمُوا أَنَّنَا في زَمَنٍ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مِنَّا الإِصلاحُ وَالمدَافَعَةُ وَالمجَاهَدَةُ، وَبَذلُ مَا يَستَطِيعُ مَن جُهدٍ وَمَالٍ وَنَفسٍ في سَبِيلِ اللهِ، مَعَ الأَمرِ بِالمعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المنكَرِ وَالدَّعوَةِ إِلى الحَقِّ وَالمنَافَحَةِ عَنهُ، وَرَدِّ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَالصَّبرِ في ذَلِكَ وَالمصَابَرَةِ وَالمرَابَطَةِ، قَالَ تَعَالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمنَافِقِينَ وَاغلُظْ عَلَيهِم) [التحريم: 9]، وَقَالَ سُبحَانَهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ) [آل عمران: 200].

✉لَقَد وَعَدَ اللهُ المجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ بِالهِدَايَةِ، وَأَن يَكُونَ مَعَهُم فَقَالَ: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المحسِنِينَ) [العنكبوت: 69].

✉وَهَذَا عَامٌّ في حَقِّ كُلِّ مَن وَقَفَ حَارِسًا لِدِينِ اللهِ عِندَ أَيِّ بَابٍ يُرَادُ الدُّخُولِ عَلَى الإِسلامِ مِنهُ، في البَيتِ أَوِ السُّوقِ أَو دَائِرَةِ العَمَلِ، مَعَ الزَّوجَاتِ وَالبَنِينَ وَالبَنَاتِ، أَو مَعَ الإِخوَةِ وَالأَقَارِبِ وَالجِيرَانِ وَالأَصدِقَاءِ وَالزُّمَلاءِ، أَو مَعَ الأَبَاعِدِ وَمَن لا تَربِطُ المرءَ بهم عِلاقَةٌ، وَإِنَّهُ وَإِنْ قُدِّرَ لَنَا أَن نَعِيشَ في هَذِهِ الأَزمِنَةِ المليئَةِ بِهَذِهِ الصِّرَاعَاتِ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فحَرِيٌّ بِنَا أَن نَحتَسِبَ كُلَّ مَا يُصِيبُنَا، فَلَعَلَّنَا نَدخُلُ في قَولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ مِن وَرَائِكُم أَيَّامَ الصَّبرِ، لِلمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَومَئِذٍ بما أَنتُم عَلَيهِ أَجرُ خَمسِينَ مِنكُم". صَحَّحَهُ الأَلبانيُّ.

✉وَلَقَد صَمَدَ الإِسلامُ في حَيَاتِهِ المدِيدَةِ لِمَا هُوَ أَعنَفُ وَأَقسَى مِن هَذِهِ الضَّرَبَاتِ الوَحشِيَّةِ الَّتي تُوَجَّهُ إِلَيهِ اليَومَ في كُلِّ مَكَانٍ، وَنَصَرَهُ اللهُ لَمَّا تَخَلَّى عَنهُ العَرَبُ في بَعضِ الأَزمِنَةِ بِقَومٍ مِن غَيرِ العَرَبِ، أَلا فَاتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مِن أَنصَارِ اللهِ، فَإِنَّكُم مِن آخِرِ المعَاقِلِ لِهَذَا الدِّينِ، فَإِن تَخَلَّيتُم عَنهُ تَخَلَّى اللهُ عَنكُم: (وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمثَالَكُم) [محمد: 38].

■أراد الله سبحانه وتعالى أن يقطع كل الأسباب حتى يبقى المسبِب ولتعلموا أن لا ملجأ منه إلا إليه سبحانه. كلما تعاظم اليقين في قلب العبد؛ كلما تعاظمت السكينة في قلبه. وهذا هو سبب حسن الظن في الله!

قال الشيخ أحمد بن يوسف السيد: التفاؤل وحُسن الظن بالله في هذه الأحداث مطلب شرعي مهم جدا، ولكن:

-حين يقع الإنسان في التعلق بالأسباب غير الصحيحة، كأن يرجو النصرة ممن عُرفوا بخذلانهم الدائم للمسلمين ومسارعتهم في أعداء الإسلام، ولا يراعي السنن الإلهية كذلك، أو يظن أن كل المعيقات سترتفع

فجأة، أو يظن أن التمكين للأمة سيكون خلال أيام أو أسابيع؛ فهذا قد يصاب بنكسة نفسية –وربما إيمانية– بعد أن يعيش نشوة البدايات كما رأينا ذلك في العقد الأخير.

✍أكثر من يصحّ لهم الاستبشار بنصر الله القريب، هم العاملون لنصرة دينه ومدافعة أعدائه، فهؤلاء إذا أخلصوا لله وتوكلوا عليه وساروا على أنوار الوحي، فالله معهم، وسينصرهم، ويحق لهم التفاؤل الشديد بقرب ذلك.

✋مع التنبيه إلى أن النصر مراتب ودرجات، والنصر الجزئي لا يستلزم النصر الكلي مباشرة ولا يستلزم انتفاء الآلام الشديدة؛ فنصر يوم بدر غير نصر فتح مكة، فالأول نصر البدايات والثاني نصر التمكين.

⬅فيوم بدر أعقبه انكسار أُحُد، ثم حصار الأحزاب ،ثم ألم الحديبية ثم في النهاية جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكان ذلك كله مسبوقاً بالصبر الطويل في مكة على الابتلاءات التي زَكّى الله بها نفوسهم وثبّت بها عقيدتهم.

📝هذه الأحداث قد تطول وتتطور وتتمدد، ولا أشك أن عاقبتها خير لهذه الأمة، ولكنها والله أعلم ستكون مصحوبة بكثير من الآلام والمصاعب، فمن كان ينتظر أملاً بلا ألم فليكمل نومه وأحلامه.

📝المطلوب من كل هذا الكلام ليس ترك التفاؤل ولا ترك العمل، بل بالعكس، نحتاج إلى مزيد منهما، ولكن بضبط تعريف التفاؤل وبترشيد العمل، ◻التفاؤل المطلوب هو حسن الظن بالله:

– بأنه سينصر دينه ويعلي كلمته دون اشتراط للزمن أو استكراه للسنن –فهي غالبة–.

– وأنه لن يضيع أجر العاملين المخلصين،

– وأنه مع الصابرين،

– وأنه يؤيد جنده ويثبتهم وينصرهم،

– وأنه لا يترك الظالمين المفسدين في الأرض دون عقاب في الدنيا قبل الآخرة.

◻ وأما العمل فلا بد أن يكون غير مشروط بتحقيق النصر الآني، بل يكون منطلقاً من مبدأ (الفرض والواجب؛ عبوديةً لله ونصرةً للمسلمين) ومن يُعرّف العمل بهذه الصيغة يكون عصياً على الانكسار والإحباط.

ما يجري اليوم مؤلم جداً في الحال، ولكنه مبشرٌ جداً في المآل.

وكل ما يجري يزيد المؤمن بصيرة وإيماناً، مع كونه يزيد المرتاب ريبة، وقد يُفتن بسببه ضعيف الإيمان.

وأمّا من تغذى على حقائق القرآن، وفَهِم السنن الإلهية، وفقِه أحوال الأنبياء؛ فإنه يسير بطمأنينة إيمانية عالية وهو ينظر إلى الأحداث، ويرى تدبير الله للكون، ولا تزيده الوقائع إلا إيمانًا بعظمة الله وعزته وحكمته.

ومن المهم جداً: عدم النظر بالمقياس الزمني المحدود، فالله يعلّمنا أن الميزان ميزانه، وتأمل هذه الآية في اختلاف تقدير الزمن، وهي قوله سبحانه: (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) فانظر كيف جمع الله بين استبطاء زمن النصر بميزان الناس (متى نصر الله) وبيْن قُربِه بميزانه سبحانه (ألا إن نصر الله قريب).

ثم إن من المهم أن ندرك أننا نعيش بوادر مرحلة استثنائية في التدافع بين الحق والباطل، وأن هذه المرحلة قد تكون مليئة بالآلام والمصاعب الشديدة، ولكن إياك أن تشك أو يدخلك الريب في أن الله بعزته يدبّر لدينه ولأوليائه، وأن ما تراه من آلام فهو مقدمة الآمال، وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرا.

والخاسر كل الخسران هو من يضيع وقته ونفسه اليوم، ومن كان كذلك فليتدارك الزمن بتوبة نصوح؛ لعل الله أن يكتبه في حَمَلة هذا الدين الذين سيعلي بهم كلمته، وينصر بهم دينه (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

(وَلا تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ).

خطبة : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين – مع موقف محرج

ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون: عبد الله بن محمد البصري